

على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية



مقالات مختارة (٢)

راكان آل عايض

1440 هـ | 2020 م

على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية

مقالات مختارة (٢)

راكان آل عايض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس

٧	• تقديم
١١	• الهوية السعودية: رمز انغلاق وذكرى إخضاع!
١٨	• لمن تكون البيعة؟ تحرير المفهوم!
٢٨	• برّ الوالدين: طاعة مطلقة أم مقيدة؟
٤٩	• لماذا السعودية كيان إقطاعي؟
	• التفاضل في الدرجات والتفاوت في الرزق: طبقة أم
٥٦	ضرورة حياتية؟
٧٩	• خاتمة

«لجماهير موعود مع الحرية، وإن طال الانتظار؛ لكن ليس قبل الثورة الفكرية الجذرية التي نعمل بكل طاقاتنا، وسخرنا لها كل وقتنا لإشعالها، ثم إبقائها مشتعلة لا تنطفئ، كما هو نور الإسلام الذي لا ينطفئ، وثورته المستمرة غير المنقطعة أبدا» .

راكن آل عايض

٧

تقديم

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة «على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية»، وتطرقُ فيه إلى موضوعات عدة، كان أولها حول الهوية السعودية، وبيّنتُ كيف أنها هوية عنصرية إقصائية جاهلية، وأن من يحملها هو بالضرورة متصف بتلك الصفات، وأردفنا المقال بمثال على ذلك.

ثم كان الموضوع الذي تلاه حول البيعة في الإسلام، ومعناها الحقيقي، ولمن تكون في الأصل، وأكدنا أنها محصورة بالله ورسوله، وأنها لا تجدد، ولا تُورث، ولا تُفرض بالإكراه.

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن مفهوم بر الوالدين بين التشويه السلطاني الكهنوتي والحقيقة القرآنية، وبيّنا أن طاعة الوالدين ليست مطلقة، وأن البر إحسان ورحمة ضمن حدود الشريعة، وأن ولاء الإسلام مقدم على أي ولاء

ورابطة، وأن الإسلام وقيمه، وقول كلمة الحق والعدل،
مقدم على الوالدين، بل ولو كان ضدهما. وأوضحنا كيف
كان، ولا يزال، المفهوم المشوه لبر الوالدين سلاحًا فتاكًا
بيد آل سعود، يُخضعون به الجماهير ويستعبدونهم
ويسوقونها إلى حيث أرادوا. ثم كان الموضوع الأخير حول
قضية التفاضل في الرزق والدرجات بين الناس، وهل ذلك
هو عين الطبقة المعروفة أم هو ضرورة حياتية. كما تطرقنا
بالرد الوافي على من يتهمون الجماهير الساعية للعدالة
الاجتماعية والمالية مع من ينهبون أموالها بالباطل، بأنها
حاسدة، لمجرد سعيها (أي الجماهير) لانتزاع حقوقها التي
فرضها الله لها في كتابه الكريم، وشرحنا أيضًا معنى تسخير
الناس بعضهم لبعض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾.

وتأتي هذه المجموعة الجديدة من الموضوعات لتنضم إلى
الموضوعات السابقة في الجزء الأول من ذات سلسلة

«على طريق التحرر والثورة»، محاولين تفكيك بنية
التحريف والاستعباد والطغيان التي تقوم عليها كيانات
الغصب والتوريث في الجزيرة العربية -على رأسها الكيان
السعودي الغاصب-، ومحاولين تصحيح أكثر المفاهيم
الإسلامية تعرضاً للتشويه والتحريف، والتي اختُطفت من
قبل كهنة آل سعود وكتبتهم على مدى قرون ماضية.

ربنا تقبل منا وأعنا..

٢٢ يوليو ٢٠٢٦ م

الهوية السعودية: رمز انغلاق وذكرى إخضاع!

في ملاسنة طويلة بين اثنين مسعودين، كان كل منهما يرمي الآخر بعبارات عنصرية؛ قال الأول للثاني: "يا ابن المصرية"، كنوع من التحقير والتقليل منه؛ لأنه ليس من "أم مسعودة"، فرد الثاني عليه قائلاً: "وأنت كأنتك بنغالي"، كشتيمة واستنقاص منه هو الآخر؛ إذ هم يعتبرون البنغال والهنود والأفارقة أقل درجة في الإنسانية منهم... بالضبط كما الاعتقاد السائد لدى العنصريين من أصحاب نزعات تفوق العرق الأبيض!!!

وكلاهما (أي هذان المسعودان) إنما قالوا ما قالاه؛ لأنهما كانا يدافعان عن انتمائهما لهوية واحدة، غير أنها هوية مغلقة، إرهابية، فاشية، عنصرية، لا تقبل من ليس يشبهها؛ وتفترض من كل منضوٍ تحت لوائها أن يكون عنصرياً، إقصائياً، جاهلياً؛ فأن تكون سعودياً يعني أنك، بالضرورة، عنصري وإقصائي وجاهلي. وهذه الهوية السعودية إنما

أطلقت، في الأساس، على أولئك الذين خضعوا، أول الأمر، لحكم آل سعود الغاصبين المعتدين، ورضوا بهم مالكين لهم، يستعبدونهم ويستتبعونهم كما لو أنهم قطع من الغنم أو قطع من المتاع! فالسعودة -كهوية- من جهة المسعودين إنما هي تعبير عن انتماء كل من ينضوي تحتها إلى آل سعود، وأنهم (أي المنضونون تحتها) مجرد أشياء من ضمن أشياء آل سعود التي يمتلكونها ويتصرفون بها كما بدا لهم؛ وأما من جهة آل سعود، ف(السعودة) كهوية هي رمز إخضاعهم لشعوب أقاليم الجزيرة العربية، وتذكير مستمر لهم بتغلبهم وتفوقهم وهيمنتهم المطلقة عليهم، وتحكمهم بهم، واحتكار أمرهم، وتوارثهم كما تتوارث عائلة ما ممتلكاتها الخاصة (أثاثاً أو مزرعة أو زريبة) من الجد إلى الابن، فابن الحفيد، وهكذا.

ولذا كانت مساعي التحرر من هذه الهوية تمثل أخطر تحدٍّ حقيقي وجودي لكيان آل سعود؛ ذلك لأنه لو رفض الأفراد

-ولو كانوا قلة- هذه الهوية؛ أي رفضوا أن يُنسبوا إلى آل سعود، وبدأ يتولد شعور عام لديهم بالعار من هذه التسمية أو النسبة... لتهاوى الكيان السعودي كله دفعة واحدة، وفي وقت وجيز... ذلك لأن وعي الأفراد بمغزى هذه الهوية وتاريخيتها وحشيتها سوف يولد لدى الأحرار منهم نفورًا وكرهًا شديدين لها، وتقززًا واشمئزازًا منها، ومن القابليين بها، ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم؛ وستأبى نفوسهم أن يكونوا مجرد تابعين مملوكين لآل سعود، مجردين من كل الحقوق الإنسانية في الحرية والمساواة والكرامة والعدالة الاجتماعية والمشاركة السياسية.

ولكن يظل السؤال هنا هو: كيف السبيل إلى إيجاد نزعة التمرد تلك لدى الجيل الجديد من جماهير شعب الجزيرة؟!

والحق أن ذلك ممكن ووارد، بل ومضمون، في حال واحدة، هي عندما تتجه الجماهير إلى دين رب العالمين

كما أنزله وحفظه في كتابه العزيز.. ففيه، وبه وحده، تتخلق الهوية الشاملة الواسعة الحضارية الإنسانية، المستوعبة للناس كلهم دون تفرقة أو تمييز؛ هوية الإسلام العظيم، حيث لا فرق بين عربي (قبلي أو غير قبلي) أو أعجمي، ولا أبيض أو أسود، ولا ذكر أو أنثى، إلا بالتقوى.... وحيث ولاء المسلم، وارتباطاته، وحركاته، وسكناته، وعلاقاته مع الناس، بمن فيهم أقاربه، بمن فيهم والداه، كلها مبنية على (وتحددها) منظومة متكاملة، قيمة، أخلاقية، تشريعية، كونية، تنسجم معها الفطرة ونواميس الكون وسننه، ممثلة في الدين الذي ارتضاه الرب سبحانه ديناً للعالمين: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...} (آل عمران: ١٩).

وقد سبق أن تطرقنا لهذا الموضوع بالتفصيل في كتب سابقة، أبرزها كتاب (المرجع الأعلى في الإسلام؛ نحو إعادة مركزية وهيمنة القرآن)؛ ولذا فلن أفصل فيه.. ما أريد قوله ههنا هو: إن قدرتنا على جذب الجيل الجديد من

الشباب والشابات إلى دين رب العالمين كما هو في كتابه المجيد؛ بما هو منظومة متكاملة، وفلسفة شاملة، ورؤية واضحة كاملة للكون والوجود ككل، والحياة، والمعاد، والخلق أجمعين... هو السبيل الوحيد إلى إيجاد الهوية الحقيقية الواسعة الإنسانية، القدرة على استيعاب العالمين؛ بغض النظر عن اختلاف اللون أو اللسان أو العرق أو الجنس... وبالتالي دحر هويات الفاشيين العنصريين القوميين الرجعيين، ليس في الجزيرة العربية وحدها، بل وفي العالم كله.

فإذا ما وجد هذا الجيل الذي يكون الإسلام بالنسبة له هو حياته، وهو هويته، وهو وطنه، وهو كيانه؛ سوف تتحرر جماهير شعب الجزيرة أخيراً من إसार السعودية، وتنتعق -تباعاً- رقابها من رق التبعية المطلقة لآل سعود الغاصبين، المتسلطين على المسلمين، القتالين للمصلحين، والكافرين بأحكام شريعة رب العالمين.. وعند تلك اللحظة

فقط؛ سيغدو الكيان السعودي وآل سعود ومن تبعهم في
خبر كان.

W

لمن تكون البيعة؟ تحرير المفهوم!

من أكثر المفاهيم التي تعرضت للتلاعب والاستغلال والتشويه من قبل آل سعود وكهنتهم المحرّفين وعبيدهم المناكيد، منذ تأسس الكيان السعودي الغاصب اللعين، وإلى يوم الناس هذا، وحتى يوم زواله، هو مفهوم البيعة... والتي هي المعاهدة والالتزام والميثاق على السمع والطاعة لله ورسوله في المنشط والمكره، وتنعقد للمرء مع إسلامه.

والمتمامل في كل الآيات (وهي أربع) التي ورد فيها هذا المفهوم، سيلاحظ أنها إنما وردت، أينما وردت في القرآن، مع الله وحده، كما في قوله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة: ١١١). ومع رسوله (ص)، بوصفه الرسول المبلّغ عن ربه،

والنبيّ القائد لمجتمعه، فتكون مبايعة الناس له حينئذ إنما هي، في حقيقتها، بيعة لله ولرسالته، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (الفتح: ١٠)، وقوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (الفتح: ١٨)، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتَانِ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ۖ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الممتحنة: ١٢).

وهي (أي البيعة) عهد والتزام من قبل المسلمين بالولاء التام لله تعالى ولرسول، حامل الرسالة الإلهية، وطاعة كل ما يأمرهم به عن ربه، ونصرة دعوته، والسعي لتمكينها، والدود

عنها في الأرض، وعدم التخلف عن ذلك، لا بالمال ولا بالنفس.

فلاحظ في كل هذه المواضع التي ورد فيها مفهوم البيعة أنها كانت حصراً لله ورسوله، وهي مقتضى الإسلام والإيمان، بمعنى أن من أسلم وآمن فقد بايع الله ورسوله بالضرورة، وسلوكه في الحياة هو الذي يثبت ذلك أو ينفيه بعد ذلك.

وهذا يعني أن البيعة تستمر مع الإنسان ما دام مسلماً صادقاً مخلصاً متجرداً لدين الله، ولا تُنقض ولا تُجدد ولا تُورث؛ ذلك لأنها إنما تتم بالاختيار بعد اقتناع (إذ إن الاختيار هو شرط صحتها الأهم). وعليه، فكل إنسان ملزم باتخاذ القرار بنفسه عند بلوغه سن الوعي والإدراك والرشد.

والبيعة من البيع، فأنت حين تقول: بعت شيئاً، فإنك لا تملك استرداده، ومن يشتري فهو متصرف بالشيء المشتري كما يرى. وعند تطبيق ذلك على الإنسان، فإنه لا

يملك أن يتعامل معه على هذا الأساس إلا خالقه وحده لا سواه، ورسوله بما يبلغ من أمر ربه.

ومن هنا كان اقتصار البيعة على الله ورسوله واضحاً صريحاً في كل الآيات المتعلقة بموضوع البيعة، بما هي عقد أو عهد يبيع به الإنسان نفسه لله وفي سبيله، فينصر رسالته وحامل تلك الرسالة بكل ما أوتي من قوة، ولو قاده ذلك للموت في سبيلها وسبيل تمكينها والدفاع عنها.

وهذا ما تم حينما بايع المؤمنون الرسول في بيعة الرضوان على الموت في سبيل أن ينصروه ودعوته، عليه الصلاة وأزكى السلام، وألا يتراجع أو ينكث أحد منهم.

وهذا ما تم أيضاً حينما بايعته المؤمنات "عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ". والنبي لا يأمر بغير المعروف، والمعروف هو ما

عرّفه أو استحسنه أو أقرّه الشرع، ممثلاً بالنص القرآني المعظم وحده.

وبالتالي؛ فإننا نلاحظ، من خلال كل ما تقدم، ما يلي:

١- أن المبايعة (العهد والالتزام بالسمع والطاعة) تتم من قبل المؤمنين لله ورسوله، مقابل رضا الله وجنته "...بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...".

٢- أن المبايعة محصورة بالله ورسوله، وتتم بالاختيار بعد الاقتناع، ولا إكراه فيها مطلقاً، ولا تنطبق على غيرهما.

٣- أن المبايعة تنعقد بانعقاد الإسلام.

٤- أن المبايعة لا تُجدّد ولا تُورث، ولا يجوز أن تُنقض، وإلا انتقض إسلام المرء، ومات ميتة جاهلية.

كما يجدر بنا، بعد ما تقدم، أن نوضح أيضاً ما التبس على كثير من الإسلاميين في عصرنا؛ حيث يعتبرون عملية انتخاب الحاكم أو النائب في مجلس الشورى مرادفة للبيع

الواردة في كتاب الله، وهذا خطأ فاحش وجهل بدين الله فاضح. إذ لا علاقة مطلقاً بين العملية الانتخابية، التي يكون المنتخب بموجبها خاضعاً لما أقسم بالحفاظ عليه، وملزماً بالقيام بما وعد في حملته الانتخابية بالقيام به، ويكون، في حال الإخلال بذلك، عرضة للعزل والعقاب، كما أنه لا يُطاع طاعة مستقلة (عن الله ورسوله) ولا مطلقة، ولا حق له في التشريع المطلق... إلخ، بل إنه هو بنفسه ملزم بأن يكون مبيعاً لله ورسوله قبل خوضه الانتخابات، لا أن يبيع الناس أو هم يبيعونه (هذا فهم محرّف ومعكوس لدين الله)؛ ذلك لأن الطرفين، الجمهور والمرشحين، مطالبان بالبيعة منذ إسلامهما، على حد سواء، لكن ليس لبعضهما، وإنما لله ورسوله... (ونحن نتكلم هنا عن مجتمع إسلامي في كيان إسلامي).

نقول إنه لا علاقة بينها (العملية الانتخابية) وعملية المبيعة، كما نص عليها القرآن، والتي تعني بيع الإنسان

نفسه وكل ما يملكه لله ورسوله، أي في سبيله، تبارك وتعالى، الذي وضع معالمه ويّنه في رسالته الخاتمة والمحفظة في كتابه العزيز الخاتم المحفوظ، بحيث لا يكون له الحق في الاعتراض أو العصيان، وإنما هي طاعة مطلقة لكل ما أنزل في كتاب الله، تبارك وتعالى.

وعليه؛ فإننا ندعو كل الإسلاميين حول العالم إلى تصحيح هذا الانحراف الخطر، والحذر والتنبه من الخلط بين عملية انتخابية أو عقد دستوري بشري يكون خاضعًا للنقد والاعتراض والتجديد والتطوير والتبديل، وبين البيعة التي لا مجال فيها للتطوير ولا للتعديل ولا للتبديل والتجديد؛ ذلك لأنها بيعة بمعنى الكلمة (وبيع الشيء يكون مرة واحدة لا تتكرر)، بحيث لا يكون الإنسان فيها، وضمن أوامره تعالى، مالكًا لنفسه، أو يكون له مباحًا أن يؤثرها على نصره دين الله بما هو دين العدل والحرية والمساواة والشورى

ونصرة المستضعفين، وقول كلمة الحق، ومجابهة الظالمين والمفسدين والمحاريين لله ورسوله.

لا بد، من الآن فصاعداً، أن يكف عبيد آل سعود والطواغيت في كل مكان عن استخدام مفهوم البيعة بمعنى مبايعة الحاكم على السمع له والطاعة (أي بيع أنفسهم له)، كما لو أنه إله مع الله؛ لأنه لا بيعة إلا لله. وعليه، فلا معنى لقول المسعودين: "في رقابنا بيعة لآل سعود"، لأن استخدام اللفظ هنا استخدام شيطاني خبيث، قصده تحريف الدين وتعبيد المسلمين، وبيعهم لشراذم من الغاصبين، المفسدين، المستبدين، الوراثيين، الإقطاعيين، العنصريين، المجرمين.

وليكف الإسلاميون كذلك عن الخلط بين العقود الإنسانية الخاضعة للنقد والمراجعة والتبديل، وبين العقد مع رب العالمين ورسوله الكريم، والذي لا مجال فيه لنقضه (إلا

بانتقاض الإسلام كله)، ولا تجديده، ولا الاعتراض عليه، ولا توريثه.

إن البيعة لله ورسوله (حامل ومبلِّغ رسالته) هي المعنى الأصيل للإيمان الحقيقي بالله عز وجل، والتسليم التام له، والطاعة المطلقة لأوامر رسالته، وأحكام شريعته الغراء. وإن من نكث هذا العهد فإنما ينكث على نفسه، لقوله تعالى: "فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ"، فهو الخاسر والظالم لنفسه، والله غني عن الخلق أجمعين.. والحمد لله رب العالمين.

vv

بر الوالدين: طاعة مطلقة أم مقيدة؟

هل بر الوالدين يعني الطاعة المطلقة لهما، أم أن لهذه الطاعة حدودًا تقف عندها؟

لا شك أن الله قد أوجب الإحسان إلى الوالدين وبرهما، ومصاحبتهما بالمعروف، ونهى عن نهركهما وسوء الأدب معهما، والدعاء لهما... إلخ، وحول ذلك قد وردت آيات عديدة، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥).

* {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا} (النساء: ٣٦).

* {قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ أُولَٰئِكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۖ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الأنعام: ١٥١).

* {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ
وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الإسراء: ٢٣-٢٤).

* {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَفَصَّالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }
(الأحقاف : ١٥).

* {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا وَعَلَىٰ وَهْنٍ
وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }
(لقمان : ١٤).

ولكن مع ذلك ؛ فقد ورد الأمر كذلك في آيتين لاحقتين
بعدم طاعتهما طاعةً مطلقة ، كما في قوله تعالى :

* {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (العنكبوت : ٨).

* {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (لقمان: ١٥). وبالذات عندما يتعارض أمر أحدهما مع أمر الخالق سبحانه وتعالى؛ وقد وصفت عملية مجاهدتهما للأبناء على ارتكاب الظلم، أو أي معصية، في حال خضوع الأبناء لهما، شركاً... ذلك لأن تقديم الإنسان أمر أي كائن كان، وإن كان أباه أو أمه، على أمر الله، هو شرك عملي، أي حتى وإن ادعى الإنسان أنه ليس مشركاً بلسانه، فإن ذلك لا يكفيه، وسلوكه يصدق أو يكذب ما ادعاه لسانه، وإن صاحبه الاعتقاد بأرجحية أمرهما، أو أحدهما، على أوامر الله وتعاليم دينه، فذلك شرك اعتقادي واضح!

ومثال ذلك قوله تعالى، واصفاً شرك اليهود والنصارى عندما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، يقدمون أقوالهم على قول الله، فيحلون ما حرم الله، ويحرمون ما

أحل: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (التوبة: ٣١). وكما جاء في قوله
تعالى في الآية (١٢١) من سورة الأنعام، في سياق
الحديث عن تحريم أكل الذبائح التي لم يذكر اسم الله
عليها: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ
وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...} إلى أن
يقول: {..وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}، «أي حيث
عدلتم عن أمر الله لكم (مهما كان ذلك الأمر) وشرعه، إلى
قول غيره (أيًا كان هذا الغير)، فقد متم عليه غيره... فهذا هو
الشرك» [تفسير: في ظلال القرآن].

فما بالك لو كان الضغط من الوالدين (ترهيبًا أو ترغيبًا،
إغواءً أو ابتزازًا) على الأبناء بموالاتة الظالمين، والعمل
لصالحهم، وعداء المصلحين ودعاة الخير والقسط من
الناس، ومحاربتهم، وحتى قتلهم؟! بل كيف إذا ما كان

أحد الوالدين بنفسه جنديًا من جنود الظالمين الطاغين
الغاصبين الكافرين؟!

إن الحديث عن هذا الموضوع لهو من أهم ما يجب
الحديث عنه، لا سيما في بيئات حوّلت مفهوم بر الوالدين
من إحسان ورحمة لهما في حدود ما أمر الله به، إلى
عبادتهما ومساواتهما بالله، أو أكثر من ذلك.

ولكم استخدمت أنظمة بأكملها هذا المفهوم المشوّه؛
لجعله سلاحًا فتاكًا تضرب به المجتمع، وتحكم من خلاله
السيطرة على الأجيال الجديدة، جيلًا بعد الآخر؛ فلا
يخرج أحد عن المسار المرسوم، والعادات المتوارثة،
والتقاليد البالية، والأعراف الجاهلية، إلا عُددَ عاقًا لوالديه،
عاصيًا لربه، عدوًا لمجتمعه!!! لا لشيء إلا لأنه اختار
طريق الله ورسوله، ولم ينصع للضغوط الهادفة إلى جعله
أداة طيعة بيد النظام السياسي الظالم القائم!! ولقد نجح آل
سعود في هذا المجال أيما نجاح، هم وكهنتهم الذين

يحرفون دين الله ويجيّرونه لصالح أسيادهم، وكانت ولا تزال الأسرة هي أهم أسلحتهم ووسائلهم؛ لضمان عدم خروج جيل متمرد، لديه القدرة على الاختيار والعيش بالطريقة التي يراها منسجمة مع دين الله، وغير متطابقة مع ما هو محدد له مسبقاً من جهة الأسرة والقبيلة والمجتمع والنظام السياسي القائم!

إن من يتدبر آي الكتاب الحكيم في هذا الموضوع سيتبين له مباشرة طاعة مَنْ المقدّمة على غيرها، وولاء مَنْ المقدّم على غيره، وسيرى أن الوالدين غير مقدّمين على الله ورسوله بأي حال، وأن حدود طاعتهما (أي الوالدين) هي ضمن ما تسمح به الشريعة، لا العكس، بحيث تصبح طاعة الشريعة ضمن ما تسمح به عادات وتقاليد الوالدين والمجتمع!!!

ولنا في خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام خير مثال وأسوة؛ فقد كان يدعو أباه لأن يؤمن بالله ويترك عبادة الأوثان، ووعدته بأن يستغفر له، كما جاء في قوله تعالى: {وَإِذْ كُنَّا فِي

الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا {
(مريم: ٤١-٤٨).

ولكنه أبى، فلما تأكد لإبراهيم إصرار أبيه على ضلاله تبرأ
منه على الفور: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ
مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ { (التوبة: ١١٤). فالمعيار واضح، دين

الله هو المعيار، ومن شذ عنه وعاداه نتبرأ منه، ولو كان أباً أو
أمّاً أو ابناً أو زوجاً.

كما نهى الله تبارك وتعالى رسوله الخاتم عن الاستغفار
للمشركين مهما كانت قرابة الدم بينهم وبين المسلمين، إذ
الولاء لدين الله وكتابه مقدّم على كل ما عداه، يقول تعالى:
{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}
(التوبة: ١١٣).

وعن المنافقين قال تعالى ناهياً نبيه: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ} (التوبة: ٨٠)، أي لا أمل في الدعاء لهم
(والظاهر أنه عليه السلام استغفر لهم قبل أن يتبين له
كفرهم)، ومن بعد ما تبين له، فلم يعد ليستغفر لهم. وقيل:
«المقصود من هذا الكلام أن القوم لما طلبوا منه أن يستغفر

لهم منعه الله منه، وليس المقصود من ذكر هذا العدد (سبعين مرة) تحديد المنع، بل هو كما يقول القائل لمن سأله الحاجة: لو سألتني سبعين مرة لم أقضها لك، ولا يريد بذلك أنه إذا زاد قضاها، فكذا ههنا، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى في الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، فبين أن العلة التي لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول، وإن بلغ سبعين مرة، كفرهم وفسقهم، وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين، فصار هذا التعليل شاهداً بأن المراد إزالة الطمع في أن ينفعهم استغفار الرسول عليه السلام مع إصرارهم على الكفر، ويؤكد أنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، والمعنى أن فسقهم مانع من الهداية». [تفسير: مفاتيح الغيب للرازي].

ولو لم يكن القصد في الآية النهي، وكان التخيير هو المقصود، على ما ذهب إليه البعض، لما جاء تأكيد النهي في سورة المنافقون: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ

رَسُولُ اللَّهِ لَوْؤَا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ *
 سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (المنافقون: ٥-٦).
 ولذا فإن الأرجح في الآيات ليس تخيير النبي في أن يستغفر
 أو لا يستغفر، بل هو نهى صريح، وتم تأكيده في آية
 المنافقون.

كما حرم المولى على نبيه الصلاة على من مات من
 المشركين والمنافقين، أو القيام على قبورهم، كما قال
 سبحانه: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى
 قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (التوبة:
 ٨٤)، وبغض النظر عن قرابة الدم، إن وجدت.

وقدم الله قول كلمة الحق والعدل عند الإدلاء بالشهادة،
 وفي كل حال، ولو كان ذلك ضد الوالدين والأقربين، يقول
 الحق تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
 شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ} إِنْ يَكُنْ

غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ (النساء: ١٣٥).

من هذا كله نفهم كيف أنه لا مجاملة مطلقاً في دين الله وتعاليمه وقيمه، ولا يقدم عليه أحد أبداً، وذلك بموجب البيعة التي يتحقق بها إسلام المرء بحق، والتي نصت على أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة: ١١١)، أي ولا النفس ولا المال مقدّمان على الله ودينه.

وقال تعالى في مسألة الولاء والبراء: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { (المجادلة: 22)، أي «لا تجد - أيها الرسول - قومًا يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء لله ولرسوله آباءهم، أو كانوا أبناءهم، أو كانوا إخوانهم، أو عشيرتهم التي ينتمون إليها؛ لأن الإيمان يمنع من موالاته أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مقدمة عليها عند التعارض. أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله - ولو كانوا أقرباء - هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغير، وقواهم ببرهان منه ونور، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، لا ينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه،

رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبداً، ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفد، ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمثلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالونه من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة». [الجمهرة: معجمة مفردات المحتوى الإسلامي]. وقال تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (التوبة: ٢٣).

إن مجتمعاً مثل المجتمع المُسعود، والذي هو في غاليته مجتمع جاهلي عنصري رجعي، -يأخذ من الدين ما يعجبه ويترك ما لا يعجبه ولا يتناسب مع بقاء الطغيان والاستبداد وأسرة الغصب والكفر والإجرام (أي أسرة آل سعود)-، كان باستمرار يولي مسألة بر الوالدين (أو بالأصح عبادة الوالدين) الاهتمام الأكبر، والتركيز الأشد، حتى إنه يقال

في تلك البيئة، وأنا عشت فيها سنين طويلة من عمري: "لو أمر الأب ابنه أن يلقي نفسه في النار، فليس له أن يعصيه!". وكم من بيوت وزيجات أُفُشلت ودُمّرت، وأُبرياء ظُلِموا بسبب مفهوم البر المشوّه هذا، فإن لم يكن هذا هو الشرك الذي حذر الله منه، فما هو إذًا؟!

ولذا كان سهلاً على آل سعود سوق هذا الشعب إلى حيث ما أرادوا على مدى عقود، لا بل قرون... ونرى كيف أنه ما إن يخرج أحد الشباب أو الشابات معلناً معارضته لآل سعود وكفره بهم، حتى تُعلن في المقابل الحرب الشعواء عليه، بدءاً من الوالدين والأسرة والقبيلة، وحتى المجتمع كله، بوحى من الشياطين الحاكمين وكهنتهم... فلا يتركون تهمة في الكون كله، ولا فحشاً في القول، ولا سبّاً، إلا ويصوبونه ضده، لا لشيء إلا لأنه قرر أن يتحرر من عبودية الخلق ليعبد خالق الخلق وحده، كافراً بكل من يعطي لنفسه صفات هي لله حصراً وحده.

ولم يقصّر المحرّفون، ولم يألوا جهداً عبر العقود -لا بل القرون- الماضية في سعيهم الدؤوب لتحريف النص القرآني بكل الطرق، حتى وصل بهم الكفر والفجور إلى حد نسخ بعض آي الكتاب العزيز بروايات بشرية تُنسب إلى النبي الكريم ﷺ، رغم مخالفتها الواضحة لكتاب الله؛ كاشتراطهم رضا وإذن الوالدين لمن أراد الجهاد في سبيل الله بكل السبل، رغم عدم وجود نص قرآني بذلك، بل إن ذلك يعد من الصد عن سبيل الله!!

ذلك لأن المسلم لا يحتاج إلى إذن والديه ليجاهد في سبيل الله، ولا يحتاج إلى تصريح من أي جهة كانت، طالما الأمر الإلهي موجود، كما في قوله تعالى في حالة النفير العام للقتال في سبيله (والذي لا يكون إلا لرفع ظلم، أو دفع عن النفس، أو نصرّة للمستضعفين، ورفع الإكراه عن العالمين): {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

(التوبة: ٤١)، ولم يستثن إلا هذه الحالات، كما جاء في قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (التوبة: ٩١-٩٣).

وفي قوله سبحانه: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} (الفتح: ١٧).

وذم المولى تعالى من قَدَّم الآباء والأبناء والأموال على الجهاد في سبيله: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ { (التوبة: ٢٤).

وما من شك أن معارضة الظالمين الغاصيين ومواجهتهم بكلمة الحق داخل في صميم معنى الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته في الأرض؛ لذا كان الخروج وإعلان رفض الظلم وقول كلمة الحق واجباً على كل مسلم، ولا يسقط عنه ذلك الواجب بحجة أن الوالدين رفضاً، وأن برهما يوجب طاعتهما في الامتناع عن الخضوع للأمر الإلهي!!! هذا إذاً تقديم لهما على الله ورسوله، ومن قدم وأطاع قول غير الله على قول الله فهو مشرك بنص القرآن: {..وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام: ١٢١).

إن تحرير مفهوم بر الوالدين مما لحق به من تحريف وتشويه على أيدي كهنة آل سعود لهو، في نظرنا، من أهم

الخطوات الثورية الجذرية باتجاه تحقيق التغيير الفكري الجمعي في الجزيرة العربية، وكل مكان وُجد فيه مثل هذا التشويه لمفهوم بر الوالدين، والذي سيؤدي بدوره إلى التغيير الفعلي على أرض الواقع، بما يشمل تغيير النظم السياسية الوراثية الغاصبة عبر اقتلاعها من جذورها، تمهيداً لإقامة الجمهورية الإسلامية في الجزيرة العربية، والتي تقوم على أسس الاختيار والرضا والشورى ضمن حاكمية الله عز وجل.

ذلك لأنه يستحيل أن تخرج أجيال ثورية متمردة على الظلم والقهر والفساد والإجرام والكفر، ما لم تتحرر من القيد الأعتى والسلاح الأخطر بيد آل سعود وكهنتهم، والذي هو (مفهوم بر الوالدين المُشوّه)، الذي استطاع الغاصبون المفسدون في الأرض أن يستغلوه أقدر استغلال؛ لتقييد الجماهير المسلمة وإخضاعها، وتحويل الآباء والأمهات من مربين مصلحين مرشدين إلى الخير؛ يأمرون أبناءهم

بالمعروف (وقول كلمة الحق ونصرة المستضعفين أعظم المعروف)، وينهونهم عن المنكر (والظلم والسكوت عنه أرفع المنكرات)، إلى حراس يحرسون السجن الكبير الذي اسمه "السعودية"؛ لخدمة بقاء حكم الطاغوت إلى أطول أمد ممكن.

ولكن هيهات أن يتم للظالمين ما أرادوا، وللجماهير موعد مع الحرية، وإن طال الانتظار؛ لكن ليس قبل الثورة الفكرية الجذرية التي نعمل بكل طاقتنا، وسخرنا لها كل وقتنا لإشعالها، ثم إبقائها مشتعلة لا تنطفئ، كما هو نور الإسلام الذي لا ينطفئ، وثوريته المستمرة غير المنقطعة أبدًا.

εΛ

لماذا السعودية كيان إقطاعي؟

يُعرّف الإقطاع على أنه: "نظام يمارس فيه الإقطاعي كل سلطات الحكم والإدارة داخل أراضي مقاطعته، ويستبد فيه بأقدار كل من يعملون عنده". أي هو حيث يكون لصاحب الأرض (التي قد يكون مغتصبًا لها في الأصل) الملكية المطلقة لها، وحق الاستغلال المطلق لها ولمن يعمل فيها، يستعبدهم ويستبد بقرارهم، وإذا باع الأرض إلى إقطاعي غيره، يتم بيعهم معها، كأشياء ضمن الأشياء الأخرى. وأنا إذ أبدأ مقالي بهذه المقدمة، فإن الهدف هو عقد مقارنة مطلوبة وملحة بين ما يشير إليه تعريف الإقطاع وبين ما هو ممارس في ما يسمى بـ"المملكة السعودية". لماذا؟

ماذا تعني كلمة (السعودية)؟ تعني تلك البقعة الجغرافية الواسعة التي خضعت بالسيف لحكم آل سعود، فأصبحت ملكًا لهم، ونُسبت بالتالي إليهم (فهي السعودية نسبةً إلى من يحكمها ويملكها، وهم آل سعود)، يتصرفون بها كما

يحلّو لهم. ولكل أمير منهم الحق في اختيار أي أرض تعجبه، ولو كانت مأهولة بالناس، لينتزعها منهم في أي وقت شاء، لمجرد كونه أحد أفراد آل سعود المالكيين المتصرفين في البلاد والعباد بلا رقيب أو حسيب.

كما أن الحكم لهم وحدهم، يتوارثونه فيما بينهم، دون شريك لهم من المسعوديين المستعبدين. لا بل، هم يقتلون من يطالب منهم بالمشاركة السياسية، لا بل حتى ببعض الحقوق الإنسانية المتعلقة بالمسكن والمأكل!!! وتنقل ملكية هذا الشعب من ملك إلى آخر في ذات الأسرة المالكة، في خضوع وتسليم، وكل ما عليه (أي هذا الشعب) هو أن يؤدي طقوس وفروض الولاء والطاعة لكل ملك ينتزي الحكم بعد الذي قبله، ولكل أمير يوضع على منطقة من المناطق.

وسلطة آل سعود تمتد حتى إلى ما يأكله ويلبسه الناس، وهي من تحدّد كم يتقاضى هذا أو ذاك، وهل يُوظّف أو لا،

ومن تحرم ومن تعطي، من مال من؟ من أموال الناس أنفسهم التي استخلفهم الله فيها!! ولكل أمير منهم مخصصات بعشرات ومئات الآلاف من الدولارات شهرياً منذ لحظة ولادته وحتى يوم هلاكه!!! هذا عدا الحرس، والقصور، والسيارات، واليخوت، والخدم والعبيد، ووووإلخ، هذا بينما معظم المسعودين لا يجدون ما يكفي لسداد فواتير الماء والكهرباء!!!!

إن المقارنة، بالتالي، معقولة بين حياة الإقطاع، حيث الإقطاعي يستغل الأرض ومن عليها ويمتلكها امتلاكاً مطلقاً، يصنع بهم ما بدا له، وبين حياة المسعودين في السعودية، حيث أمراء آل سعود يمتلكونهم امتلاكاً مطلقاً، ويتصرفون بهم كما يشاؤون، وإليهم يُنسبون، وفيما بينهم يتوارثونهم كما تتوارث الأشياء أو الحيوانات!!!

ولذا؛ وصفنا السعودية بأنها كيان غاصب إقطاعي، نشأ بالغصب، ضد إرادة الناس، ضمهم بالسيف الأجرب بعد

أن استحل دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وهو كيان إقطاعي؛ لكون كل أمير من آل سعود يمارس بالضبط ما كان يمارسه الإقطاعيون في العصور الوسطى في أوروبا مع الفلاحين والمزارعين الذين يسمونهم "أقنان الأرض". وليس الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل يضيف آل سعود شيئاً آخر، وهو أن إقطاعهم هذا من نوع خاص، بمعنى أنه مبرر بمبررات "شرعية" يصدرها كهنة آل سعود الذين يتمحور جلُّ دورهم حول تحريف دين الله وتجييره لخدمة آل سعود وعرشهم وكيانهم الزائل، بعون الله.

هذه حقيقة نصدح بها! وينبغي أن يعترف بها المسعودون كذلك؛ هم ليسوا سوى متاع تابع ومملوك لآل سعود، ليس لهم من أمرهم شيء، ولا قيمة لهم في هذا الوجود بأكمله.. وجودهم كعدمه، غير أنهم محاسبون بالقطع على خضوعهم لآل سعود كل هذه العقود. ولن تنفعهم أمام الله أيُّ أعذار من قبيل: "كنا مستضعفين"، أو "مستعبدين"،

وذلك لقوله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء: ٩٧). فلا عذر لهم على الإطلاق؛ واللوم كل اللوم عليهم، صغيرهم وكبيرهم... نسائهم ورجالهم.

ما الحل؟

كسر القيد، والكفر بكيان الجور والغصب، والتحرر من أسر التسلط والحرمان والذل. لتعلم هذه الجماهير المستعبدة أن القرار بيدها، إذا هي تحررت وكفرت بالطاغوت وآمنت بالله رب العالمين، فعانقت الحرية، ولم تقبل أن تظل مصفدة في أصفاد الغاصبين الإقطاعيين.

الحل يبدأ من نفس كل فرد في جماهير الشعب؛ ولو أنهم وعوا ذلك ثم اتحدوا، لما كان لآل سعود وجود حتى هذا

اليوم. ومع ذلك؛ نقول: لا يزال في الوقت بقية، إذا لم تُضَع
بعد اليوم لحظة واحدة، ووجهت كلّ إمكانياتها نحو طريق
التحرر والثورة وتفجير كل الطاقات الكامنة التي ستقود إلى
تفكيك الكيان السعودي الغاصب، وإسقاط آل سعود
الكافرين، ومن ثم إعلان قيام سلطة الجماهير، ونهاية عصر
الإقطاع والاستعباد وحياة القطيع... فهل تفيق الجماهير
المسحوقة، وتكسر قيود الإقطاع والاستبداد والعبودية
للخلق؟ أم تظل تراوح مكانها، ومن قيد إلى قيد؟!

00

التفاضل في الدرجات والتفاوت في الرزق: طبقية أم ضرورة حياتية؟

ليس جديداً أن نكتب عن العدالة الاجتماعية والمالية في الإسلام، وشكل العلاقات في المجتمع المسلم عامة، فقد سبق أن وضحنا جزءاً من معالم النظام الاقتصادي الإسلامي في كتابنا "المرجع الأعلى في الإسلام؛ نحو إعادة مركزية وهيمنة القرآن" وفي كتابات أخرى، غير أننا لم نتطرق لكل الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع بما يجعل من طرحنا طرْحاً شاملاً متكاملاً ومتماسكاً إلى الحد الذي يتحقق به الرد الوافي على من يتهمون الإسلام بالظلم الاجتماعي أو إقرار الطبقية، مستندين في اتهامهم هذا إلى إقرار القرآن لحقيقة وسنة التفاوت بين الناس في الرزق، والتفاضل بينهم في الدرجات، كما في قوله تبارك وتعالى في سورة الزخرف: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (٣٢). غير أن هذه الحقيقة لا تتعارض مطلقاً مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي الداعي إلى العدالة الاجتماعية والمالية، والتكافل والتكاتف الاجتماعيين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى والإحسان وفعل الخيرات، ومعاونة كل محتاج؛ حتى إن الشارع الحكيم قد جعل من مصارف الدولة الإسلامية حقاً لعابر السبيل، وللمهاجرين، ومن كانوا ضمن فئة ملك اليمين... هذا فضلاً عن فرض الزكاة، وتحريم الربا والمكس والاحتكار والرشى والغش بكل صوره، وكنز المال وتكديسه وتعطيل وظيفته في المجتمع؛ بما هو وسيلة لتحقيق الخير لا غاية في ذاته، وبما هو مما استخلفنا الله فيه؛ فليس الإنسان مالكة على وجه الأصالة والحقيقة، وإنما هو مُمَلَّكٌ إِيَّاه من الله على وجه الاستخلاف والابتلاء: {آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}

(الحديد: ٧)، لِيُعْلَمَ هَلْ يُحْسِنُ وَيَنْفِقُ، أَوْ يَظْلِمُ وَيَمْنَعُ،
كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ
بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ
سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام: ١٦٥).

إذن، فالغاية من رفع بعض الناس فوق بعض في الدرجات،
وسياق الآية عام لا يقتصر على الرزق، ولكن لأن حديثنا
عنه، فإننا نفهم أن هذا التفاضل، أو رفع بعض الناس
درجات فوق البعض الآخر، إنما هو "لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
آتَاكُمْ"؛ فمن أساء فالله سريع العقاب له، ومن أحسن فإن
الله غفور رحيم.

كما حرّم الشارع الحكيم أمر الناس بالبخل: {وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ يَبْنُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ
شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (آل عمران:
١٨٠)، وتحريضهم على عدم الإنفاق: {الَّذِينَ يَبْنُونَ

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا { (النساء: ٣٦)، ومنع المعونة
عن المحتاجين والمساكين ... إلخ: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ
الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ
الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ { (المدثر: ٣٨-٤٤)،
{كَأَلَا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ * [الفجر: ١٧-١٨]، {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ
إِذَا تَرَدَّى { (الليل: ٨-١١)، {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ {
(الماعون: ٤-٧).

إن كل ما تقدم ذكره لا يتعارض البتة مع حقيقة وجود أغنياء
في المجتمع المسلم (وكل مجتمع إنساني، وهذا طبيعي
ومطلوب لتسيير عجلة الحياة)، ولكن بشرط أن يؤدي

الأغنياء الواجبات التي عليهم، وأن يكونوا خاضعين للقانون كما كل الناس، ولو بالإكراه؛ حيث إن جمع الزكاة مثلاً واجب الدولة الإسلامية، ولو امتنع من وجبت عليهم فإنهم يُجبرون بالقوة على ذلك؛ لأن الزكاة حق الفقراء والمحتاجين في أموال الأغنياء، وإن رغمت أنوفهم.

إن المجتمع الإسلامي إذن مجتمع إنساني طبيعي، فيه الغني وفيه الفقير؛ غير أن ذلك لا يعني أن يُحرم الفقير من عيش حياة كريمة آمنة يتوفر له فيها أساسيات الحياة من مسكن ومأكل وعلاج وكساء وتعليم... إلخ. أي إن ما يجب تحقيقه في المجتمع الإسلامي ليس مساواة الناس في الدخل والثروات مساواة حسابية؛ فذلك ظلم وضرب من المستحيل، وإنما المطلوب هو العدل في توزيع الثروات العامة، وعدم حرمان الفقراء والمحتاجين والمساكين مما يحق لهم ما أراد الله من تكريم لكل بني البشر دون تمييز، كيف لا وقد قال عز من قائل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا { (الإسراء: ٧٠)، فكل ما
يحط من ذلك التكريم هو حتمًا مما يحرمه الشارع
الحكيم.

ثم إن هذا التفاضل في الدرجات في المجتمع (أي
التفاضل في المواهب الذهنية والفنية والعلمية والهندسية
والتقنية والطبية، والقدرات عامة، والاستعدادات النفسية،
والظروف الخاصة بكل فرد... إلخ)، والذي عليه ينبغي
التفاوت في الأرزاق؛ فأجر من يصنع الطائفة ليس كمن
يصلح إطار سيارة، وأجر الطبيب وما في عمله من
مسؤوليات وتعقيدات كبرى ليس كأجر المعلم، وأجر
المعلم ليس كأجر الحداد أو النجار أو البائع أو غيرهم،
ولكن كلهم لا يستغنون عن بعضهم؛ لا تسير عجلة الحياة
بدون أحدهم؛ لأنهم بهذا التفاوت في الرزق الميني على
التفاضل في المواهب والتخصصات، مستخرون لبعضهم،

لذا قال تعالى معللاً سبب ذلك التفاضل في الدرجات بقوله: "لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا"، فالكل مسخر للكل، وهكذا تسير عجلة الحياة.

وهذا (أي التفاضل في الدرجات، وبالتالي التفاوت في الرزق) هو ما يجعل المجتمع أكثر حيوية وتوثباً للنهضة والتقدم والازدهار، بحيث يتيح للأفراد الموهوبين الانطلاق والتميز والطموح اللامحدود، وبالتالي التوفيق في طلب الرزق الحلال والغنى المشروع، الذي لا يكون هو غاية في ذاته، وإنما باعتباره وسيلة لفعل الخيرات وتسهيل حياة الناس (وذلك سبيل الله)، كما ذكرنا آنفاً.

وليس معقولاً، لا بل إن ذلك ضد قوانين الطبيعة والوجود وسنن الله في الاجتماع الإنساني، أن يُطالب كل فرد، خاصة إن كان موهوباً في مجال من المجالات، ألا يتميز فيه ويتفوق بحجة أن ذلك سيولد تفاوتاً في الرزق بينه وبين غيره ممن ليس موهوباً في تخصص بعينه، أو ليس لديه

الحد المطلوب من النشاط والجدل في طلب الرزق الحلال كما لدى البعض الآخر... ذلك لأن مطالبة الناس كلهم بأن يكونوا على مستوى أقل الأفراد في المجتمع إنتاجاً ونشاطاً وموهبة هو ظلم عظيم، وهو جنون حقيقي لن يقود سوى إلى دمار المجتمع وبالتالي فنائه... ولهذا فإن «كل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، كما يخالف هدفاً من أهداف التنظيم الاجتماعي كله. وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع، أو تبقي عليه إن وجد» [تفسير: في ظلال القرآن].

ذلك لأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع التعاون على البر والتقوى، والمساواة في الكرامة الإنسانية والحقوق والواجبات، وهذه الفروقات أو التفاوت والتفاضل في الأرزاق والدرجات إنما هي كما قال تعالى، وكما مر معنا

سابقًا: "لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا"؛ أي ليكون الكل مسخرًا للكل، وعن حاجة واضطرار، لا تفضلاً من البعض على البعض؛ لتستقيم وتيسر الحياة، وهذه هي التشاركية الإسلامية أو الاشتراكية الإسلامية، وهي بذلك تحقق المبدأ العظيم في التعاون على البر والتقوى وفعل الخيرات عامة.

فتسخير الناس بعضهم لبعض إذن قانون لا يتغير ولا يتبدل؛ إذ يستحيل أن يكون المجتمع كله مثلاً رجال أعمال أو سيدات أعمال؛ لأن ذلك معناه أنه لن يكون هناك عمال ينتجون السلع -التي من خلال بيعها تأتي الأرباح، وبالتالي الثروات-، ولا مستهلكون يشترونها.

ويستحيل أن يكون كل المجتمع أطباء، وإلا فلن يكون هناك من يبني المستشفيات، أو يصنع الأدوات والأجهزة الطبية اللازمة، أو يقدم الخدمات الصحية الأخرى التي ليست من مهام الطبيب بالضرورة.

ويستحيل أن يكون المجتمع كله مهندسين أو فنانين أو صحفيين أو كتّابًا أو فلاحين أو عمالًا أو... إلخ؛ لذا اقتضت طبيعة الاجتماع البشري أن يقع التفاضل في الدرجات، فيكون لكل تخصصه حسب موهبته وقدرته وظروفه، وبالتالي يحصل التفاوت في الرزق بقدر عمل وقيمة عمل كل فرد في المجتمع، وحسب ما يقدمه من خدمات أو صناعات وأعمال وغيرها.

هذا هو معنى التفاضل والتفاوت في الإسلام، ومعنى تسخير الناس لبعضهم، وليس هو ما يزعمه الجهلة عندما يشبهون ذلك بالطبقية التي ذكرنا معناها؛ من حيث هي تقسيم للناس حسب وضعهم المادي، وحصولهم على امتيازات ظالمة تجعلهم فوق القانون، وغير متساوين في الواجبات والفرص مع بقية الناس.

كما أن التفاوت في الرزق والتفاضل في الدرجات قد يقع حتى داخل الطبقة الواحدة... فقد تجد -وهذا موجود- فنانًا

كبيراً ثباع أعماله بالملايين، ولكنه فاشل في التجارة،
وتجد تاجرًا يجني المليارات ولكنه غير موهوب في أي نوع
من أنواع الفنون؛ فكلاهما يحصلان على دخول كبيرة،
غير أن دخل التاجر أكبر، ومع ذلك فكلاهما من نفس
الطبقة فوق المتوسطة... الغنية؛ إذ لا يمكن أن يوضع في
غير هذا التصنيف، فيستحيل أن يقول أحد عن الفنان إنه
فقير لأنه مليونير، وعن التاجر إنه ليس غنيًا لأنه ملياردير!!

وعليه، فإن محاولة بعض الجهلة اتهام الإسلام بتشريع
الطبقية أو إقرارها ومدحها؛ هو جهل فاضح منهم بالإسلام،
وبمعنى التفاوت والتفاضل المقصودين في الآيات، والذي
لا تستقيم الحياة ولا تدور عجلتها بدونه، مهما ادّعى غير
ذلك المزايدون الجاهلون.

وهناك من يستدل بهاتين الآيتين كذلك:

١- {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ
فُضِّلُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (النحل: ٧١).

٢- {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الروم: ٢٨).

ولا تعارض بينهما وبين ما طرحناه آنفاً؛ مع العلم أن الآيتين قد وردتا هنا في سياق موضوع بيان بطلان الشرك، وضرب فيهما مثلٌ بشخص غني: فهل يقبل هذا الغني أن يشاركه من هو (ملك يمينه) -وقد فصلنا موضوع ملك اليمين في كتابات سابقة، خاصة في كتاب: "المرأة المسلمة" وكتاب "السعي المقدس"**- في رزقه، بحيث يصبحون فيه سواء، فيخشاه كخشيتيه للشريك المساوي له؟!

والجواب الغريزي هو: لا. فكيف إذن تدعون أن من خلق الله وعبيده شركاء له، أو أن الرزق والنعمة بيدهم دونه أو معه؟! أفنعمة الله تجحدون؟! والآيتان تقرّان بالتفاضل في الرزق، كما في الآيات التي وردت في مقدمة المقال، وقد

بيّننا معنى وغرض ذلك التفاضل، وأنه لا علاقة له بالطبقية، ولا يقرّها الشرع الحنيف، فضلاً عن أن يشرّعها.

وإنما الأمر كله في هاتين الآيتين أنه -تبارك وتعالى- حاكم فئة من الناس إلى غريزة لدى كل البشر، وهي أن الإنسان لا يريد لمن يعمل لديه أن يكون مساوياً له في ماله، بحيث يصبح له القرار عليه!!!

ولأن الغريزة والفطرة الإنسانية تأبى ذلك، أتت الشريعة بتعاليمها وأوامرها لتحذ من تغول هذه الغريزة التي قد تحرم الفقراء والمحتاجين، ومن هم ملك يمين غيرهم (كما كان في عصر بقايا الرقيق)، من الحق الذي فرضه الله لهم، بما يحفظ لهم كرامتهم وأمنهم وقوت يومهم. ولذا جاء في هذا السياق أيضاً المتعلق بملك اليمين أمره تعالى: {..وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ..} (النور: ٣٣). وكثير من التكاليف الشرعية هي مصادمة لغرائز الإنسان،

وخاصة غريزة التملك والاستحواذ والبقاء التي تسيطر على من كان بعيداً عن الله ونسيه، واحتنكه الشيطان واستحوذ عليه حتى صار عبداً له، والعياذ بالله.

بقي أن نرد على صنف آخر من الجهلة، ممن يتخذون من قوله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (النساء: ٣٢)، أو قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} (النساء: ٥٤)، والمقصود هنا هو حسد اليهود للرسول: «حسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين على ما آتاهم الله من فضله... من هذا الدين الذي أنشأهم نشأة أخرى، ووهب لهم ميلاً جديداً، وجعل لهم وجوداً إنسانياً متميزاً؛ ووهبهم النور والثقة والطمأنينة واليقين؛ كما وهبهم النظافة والطهر، مع

العز والتمكين؟» [تفسير: في ظلال القرآن]. ومع أن هذه الآية في غير سياق حديثنا أصلاً، ولكن عبيد الطواغيت (كالمسعودين) يستغلونها عن خبث وقصد تحريف واستغلال للدين، لتخضيع المسلمين لمن ينهاون أموال الجماهير ويأكلونها بالباطل، ثم عندما تثور هذه الجماهير مطالبة بحقها والعدل الذي من أجله بُعث الرسل وأنزلت الكتب، يتهمونهم بالحسد وفساد أخلاقهم وقلوبهم... إلخ.

أو قوله تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} (طه: ١٣١). فيتخذون كل هذه الآيات كوسيلة لحماية الفاسدين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويبخسون الناس أشياءهم، ويأكلون الربا والسحت... إلخ، من غضب الجماهير الساعية للعدالة وحق العيش الكريم؛ فتارة يتهمونهم بالحسد، وأخرى يزهدونهم بحقوقهم التي فرضها الله لهم في هذه الحياة، وتارة يقطعون الآيات من سياقات

مختلفة ليوهموا الناس بغير مرادها... وهذا كله تدجيل وتحريف وافتراء على دين رب العالمين... والحسد محرّم في دين الله بلا شك، ولكن الخبث كل الخبث هو عندما يوصف سعي الناس لتحقيق العدالة، ومنع الاحتكار والربا والغش، وتحقيق مجتمع التكافل والعدالة والتسخير، وفرض الزكاة على الأغنياء، وفرضها بالقوة على الممتنعين منهم؛ بأن يوصف من يسعون لذلك بأنهم يحسدون الفاسدين الذين أكلوا أموال الناس بالباطل، ثم هم يترفعون عن المساءلة، ويشترون الدماء، وينشرون الفساد في الأرض.

لا وكلا، ليس هذا هو المعنى، وحاشا لدين الله؛ وإنما يصح ذلك عندما تتحقق مقتضيات العدالة في المجتمع، ويحصل كل محتاج على ما يسد حاجته ويكفيه وأسرته، ولو بالحد الأدنى الذي يحفظ له كرامته ويستتره أمام الناس... وعندما يؤدي أصحاب الثروات واجباتهم كاملة، وقبلها أن يكون تحصيلهم للمال من مصادر وأعمال كلها

حلال، وأن تكون أموالهم في سبيل الله وما ينفع الناس، وليس بغرض الكنز والتكديس والاحتكار... أقول: عندما تتحقق تلك المتطلبات والمقتضيات كلها، ويصبح المجتمع مجتمعًا تكافليًا تكامليًا مسخرًا بعضه لبعض، عند ذلك فإن من الحسد أن يتمنى البعض زوال النعمة عن البعض الآخر.

والصحيح أن لا يتمنى الإنسان ما فضل غيره به، بل ليطلب الفضل والرزق من الله وحده: {..فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (العنكبوت: ١٧)، دون تمنّي زوال النعمة من أخيه المسلم الذي أدّى واجباته وطهر أمواله، ولم تكن من مصدر حرام أو على حساب الفقراء والمحتاجين... عندئذ يمكن الاستشهاد بقوله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (النساء: ٣٢)، وقوله:

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..} (النساء: ٥٤).

لذا وجب عدم الخلط، والحذر من مكر الفاسدين وتحريفهم لدين رب العالمين؛ فتجد أموالهم كلها حراماً ومن مصادر حرام، ونتاج ربا واحتكار ونهب ورشى وفساد، ثم إذا ما انتفضت الجماهير المسلمة الغاضبة على هذه القلة الغنية المتوحشة الكافرة قالوا: "أنتم تحسدوننا على ما آتانا الله!!!" ويا له من خبث، ويا له من فجور وتحريف لدين الله!!!" بل هو ما سرقتموه من أموال الناس، وتوارثموه بعد ذلك بغير وجه حق... فحق للمجتمع أن يحاسبكم عندما يتولى زمام الأمور بنفسه، ويرد الأموال إلى أصحابها، وهم الجماهير المسحوقة، أي غالبية المجتمع الساحقة.

ولا يُفهم مطلقاً من قوله تعالى آمراً نبيه الخاتم ﷺ: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} (طه: ١٣١)، أن تُزهد

الجماهير في حقوقها التي شرعها وفرضها الله لها؛ وإنما المعنى أن: «اتجه إلى ربك بالعبادة {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ} (طه: ١٣٠)، ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ من عرض الحياة الدنيا، من زينة ومتاع ومال وأولاد وجاه وسلطان. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ التي تطلعها كما يطلع النبات زهرته لأمعة جذابة. والزهرة سريعة الذبول على ما بها من رواء وزواق. فإنما نمتعهم بها ابتلاء ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فنكشف عن معادنهم، بسلوكهم مع هذه النعمة وذلك المتاع. وهو متاع زائل كالزهرة سرعان ما تذبل. ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وهو رزق للنعمة لا للفتنة. رزق طيب خير باقٍ لا يذبل ولا يخذع ولا يفتن. وما هي دعوة للزهد في طيبات الحياة، ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية، وبالصلة بالله والرضى به. فلا تنهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا

تفقد اعتزازها بالقيم العليا، وتبقى دائماً تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار...»
[تفسير: في ظلال القرآن].

وكيف تكون دعوة للزهد في الدنيا بإطلاق، وهو القائل جل جلاله: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف: ٣١)، كما نجد المنهج القويم في هذه الآية: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص: ٧٧)، وغيرها الكثير مما يشبث مشروعية ابتغاء الرزق الحلال والاستمتاع به على الوجه المشروع دون إسراف أو تبذير: {وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} (الإسراء: ٢٦-٢٧)... فهل بعد كل ما تقدم من شرح وبيان واستعراض للبراهين القرآنية يجرؤ واحد من الناس على أن

يتهم الإسلام بالطبقية أو الظلم الاجتماعي والمالي؟! لا
نظن ذلك... وهذا ما عندنا، والسلام.

vv

^^

خاتمة

هذا هو الجزء الثاني من هذا المشروع الفكري الهادف إلى إيقاظ الجماهير الغافلة، وإحداث الثورة الفكرية الجذرية المرجوة. ولا يزال هنالك الكثير مما لم نقله؛ سنتركه للأجزاء القادمة من مشروعنا هذا، بإذن المولى تعالى، آمليْن أن يصل هذا المجهود إلى المستهدفين منه، وأن يحقق المرجو منه، إن ربي على كل شيء قدير.

هذا، والحمد لله رب العالمين.

^.

تم بحمد الله تعالى.

^^

*** حول المؤلف**

راكان آل عايض

- كاتب وباحث إسلامي، وناشط حقوقي وسياسي معارض من جزيرة العرب، أو ما يسمى غصباً وعدواناً بـ«السعودية».
- يقيم في المملكة المتحدة (بريطانيا) منذ سنوات، وينشط من هناك.

*** نشر له عدة كتب، أبرزها:**

- كتاب: [على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية: مقالات مختارة (٢)] (٢٠٢٦).
- كتاب: [على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية: مقالات مختارة (١)] (٢٠٢٦).
- كتاب: [مقالة السعي المقدّس] (٢٠٢٦).
- كتاب: [المرجع الأعلى في الإسلام: نحو إعادة مركزية وهيمنة القرآن]. (٢٠٢٦).

- كتاب: [شرطا إسلامية الكيان السياسي: متى يكون الكيان السياسي إسلاميا أو غير إسلامي؟] (٢٠٢٦).
- كتاب: [مفهوم الملك في القرآن: بين التمكين المشروط المؤقت والتمليك المطلق الدائم]. (٢٠٢٥).
- كتاب: [المرأة المسلمة: بين تحرير الوحي وقيود الفهم]. (٢٠٢٥).
- كتاب: [نحو دولة مدنية شورية جمهورية اتحادية في جزيرة العرب: رؤية للإصلاح والتغيير السياسي في ضوء المبادئ الإسلامية]. (٢٠٢٥).
- كتيب: [التغيير الذي نريد: جذري، شامل، ومنهجي]. (٢٠٢٥).

مقالات مختارة (٢)

على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية

”تأتي هذه المجموعة الجديدة من الموضوعات لتنضم إلى الموضوعات السابقة في الجزء الأول من ذات سلسلة «على طريق التحرر والثورة»، محاولين تفكيك بنية التحريف والاستعباد والطغيان التي تقوم عليها كيانات الغصب والتوريث في الجزيرة العربية -على رأسها الكيان السعودي الغاصب-، ومحاولين تصحيح أكثر المفاهيم الإسلامية تعرضا للتشويه والتحريف، والتي اختطفت من قبل كهنة آل سعود وكتبتهم على مدى قرون ماضية“.

راكان آل عايض